عقيدة عبد الغني المقدسي8

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. مازال الحديث متواصل حول شرح كتاب:

(تذكرة المؤتسي)

وكُنَّا قد انتهينا في اللقاء السابق من الحديث عن أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:

(رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة)

أما اليوم فإننا سنستكمل الحديث عن بعض الصفات ونبدأها بصفة ذاتية فعليةهذه الصفة هي :

(صفة الكلام)

صفة الكلام صفة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أئمة أهل السلف ولم يُنكِر هذه الصفة إلا فِرَق المبتدعة الضالين المُضلين..

▫أدلة صفة الكلام في الكتاب :

1_قال تعالى :{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)}

[الأعراف]

وكلمه ربه:المُتكلِم هو الله .

2_قال سبحانه :{ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (58)}[يس]

3_قال عزَّ وجل:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174)}[البقرة]

4_قال تبارك وتعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)}[آل عمران]

5_ومن أوضح الأدلة على هذه الصفة ...قوله سبحانه:

{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164)}[النساء]

طلب أهل البدع من عمرو بن العلاء (أحد القُرّاء السبعة) أن يقرأ هذه الآية بالنصب(اللهَ بدلًا من اللهُ) فيكون موسى هو المُتكلم وليس الحق

تبارك وتعالى،فكان رده عليهم هو :إذا وافقتكم على ما تريدون فماذا أفعل مع قوله تعالى:

{ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}

والآيات الأُخر،هذه الآيات واضحة جلية صريحة في أن الله يتكلم

6_ قال تعالى:{ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَاللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6)}[التوبة]

يسمع كلام الله :الآية صريحة واضحة جلية

قال تعالى:

{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ(41)}[الحاقة]

_إذًا فإن القرآن هو كلام الله وليس بقول بشر،وقال سبحانه:

{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21)}[التكوير]

▪ذُكِرَ الرسول في الآيتين :

1_في الآية الأولى المقصود:بالرسول هو رسولنا الكريم محمدﷺ.

2_الآية الثانية المقصود : بالرسول هو جبريل عليه السلام.

فإذا كان القرآن هو من كلام الرسول كما كان يدعي الكفار...

فلماذا يُنسب القول مرة للنبيﷺويُنسب أخرى لجبريل عليه السلام؟؟

هذا هو استنباط ابن تيمية:

لهذه المسألة كما جاء في مجموع الفتاوى

(فكان هذا هو رده على أهل البدع والأهواء)

فقال :نسبة القول إلى النبي ﷺ مرة وإلى جبريل عليه السلام مرة أخرى فإن هذا يعني أن الرسول الكريم ينقِل عن الله عز وجل مثلما سمع جبريل من الله ونقله إلى محمد ﷺ.

إثبات صفة الكلام مسألة يُحيط بها إشكال عظيم جدًا نظرًا لتشعُب الفرق في تناولها لهذه المسألة .

ابتداءً بالمعتزلة :الذين ينفون صفات الله عز وجل وبالتالي أرادوا أن ينفوا صفة الكلام كصفة من ضمن الصفات المنفية..

فَرَدَّ عليهم الكُلابية:

وتبعهم على ذلك الأشاعرة فقالوا :أن كلام الله كلام نفسي أي كلام بالمعنى،فهو لا يتكلم على الحقيقة(هذا ضلال_فقد نسبوا لله النقص_وضربوا نصوص الكتاب والسنة)كيف يتكلم الله بكلام نفسي؟

ولو أن إنسان وُصِفْ بأنه يتكلم كلام نفسي وأنه لا ينطق به فلا صوت ولا كلام فإن هذا يُعَد نقص

▫يعني:

(خواطر معينة لا يتكلم بها ولا يُعبِر عنها)

هذا يُمثِل صورة من صور النقص.

▫مسألة الكلام مسألة شائكة جدًا:وقد ثار بشأنها جدل واسع جدًا بين السلف حتى أن منهم مَن صَنَف المُصنفات من الكتب والمُجلدات التي يتحدث فيها عن مسألة إثبات صفة الكلام لله فلماذا ؟؟

لأنهم عرفوا أن أهل البدع والأهواء يُحاولون بكل ما أُتوا من قوة وجهد أن ينفوا صفة هي من صفات الكمال لله سبحاه وتعالى وفي ذلك إثبات النقص،لذلك فقد اجتهد علماء السلف وصنفوا المصنفات للرد على هؤلاء الضالين.

▫أدلة الكلام في السنة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ:يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أُرَاهُ قَالَ - تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ...

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ - أَوْ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي

جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ - وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ»فَكَبَّرْنَا،ثُمَّ قَالَ:«ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا،ثُمَّ قَالَ:«شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ»فَكَبَّرْنَا قَالَ أَبُو أُسَامَةَ عَنِ الأَعْمَشِ،{تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى} [الحج: 2]،وَقَالَ:«مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»

أخرجه البخاري(4741)

كلمة (لبيك) في اللغة تعني : إجابة بعد إجابة

▫فينادي الله على آدم:ومعنى إطلاق النداء أي أن هناك صوت مسموع حتى يُلبي هذا المُنادى للنداء،فإذا كان الكلام بالمعنى كما يدعي هؤلاء المبتدعة فكيف يسمع آدم نداء الرحمن وهو لا يتكلم بصوت،وعلى أي أساس سيُلبي آدم النداء فيقول:لبيك ؟

الأدلة واضحة ولكن عندما تُطمس البصيرة فإن القلوب هي التي تُصاب بالعمى لا الأبصار.

▫الشاهد: (فينادي بصوت).

▫من الأدلة أيضًا حديث الإفك وما جاء فيه :

1_عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ،وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي،وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحيًا

يُتْلَى،لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ العَرَقِ مِثْلُ الجُمَانِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ القَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لاَ أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَتْ: وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} العَشْرَ الآيَاتِ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي"

أخرجه البخاري(4141)

2_ وعَنْ طَاوُسٍ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى،فَقَالَ لَهُ مُوسَى:يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ،قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلاَمِهِ،وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي على أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى،فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى...ثَلاَثًا قَالَ سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ،عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ"أخرجه البخاري(6614)

▫المعنى:أن هناك حوار دار بين آدم وموسى عليهما السلام،فقال موسى:يا آدم أنت أخرجتنا من الجنة بسبب معصيتك لله وأكلك من الشجرة

فرد آدم قائلًا : يا موسى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ،وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ،الشاهد من الحديث ينص على أن الله يتكلم.

3_ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِيأَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺأَنَّ الْإِبلَاغَ مِنْهُ،وَأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مِنْ رَبِّهِ،وَلَمْ يُذْكَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ خِلَافُ مَا وَصَفْنَا،وَهُمُ الَّذِينَ أَدَّوُا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺقَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143] " قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»

خلق أفعال العباد للبخاري

▪من أقوال أئمة السلف :

1_قوام السنة (أبو القاسم الأصبهاني) :يقول في كتابه الماتع (الحجة في بيان المحجة) :وقد أجمع أهل العربية على أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلامٍ على الحقيقة.

▪وهذا يعني أننا عندما نقول أن الله يتكلم: فإن هذا الأمر يستلزم حروف وصوت،وليس معناه أن الكلام نفسي لأن هذا القول غير مقبول إذن فإن أدلة صفة الكلام واردة في الكتاب والسنة وأقوال الأئمة (الله يتكلم).

يقول الإمام البخاري :

إن الله يتكلم بصوتٍ لا يشبه صوت الخلق...بيَّن الإمام البخاري أن الله عز وجل يتكلم بصوت لا يشبه صوت الخلق ،وفي هذا إثبات لصفة الكلام وأنه يتكلم بصوت مسموع،والكلام كما أجمع أهل اللغة لابد له من صوت وحروف فيكون له صوت مسموع

ولننتبه:

فنحن نثبت الصفة لله عز وجل ولكن لا ينبغي أن يتبادر إلى الأذهان أن كلام الله مثل كلام الخلق أو أن صوت الله يُقارب صوت المخلوق ، وهنا نعود إلى الأصل العام الذي يحكم أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع آيات الصفات{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)}[الشورى]

فنثبت الصفة ونبيِّن معناها ولا نتطرق إلى الكلام عن كيفيتها فلا نُشبه ولا نُكَيِّف ولا نُمثِل.

قال تعالى:

{ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)}[الإسراء]

كل المخلوقات تُسبح بحمد الله فهل يستطيع أحد أن يُبين كيف تسبح هذه المخلوقات على اختلاف أشكالها ؟

قال تعالى:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10)}

[سبأ]

فإذا ما عجز الإنسان عن معرفة كيفية تسبيح المخلوق فالأولى أن يعجز عن معرفة كيفية كلام الخالق.

عندما عُرِج بالنبيفي رحلة الإسراء والمعراج وصل إلى مكان لم يصل إليه أحد غيره،فلا نبي مرسل ولا ملك مُقرب ،حتى أنه سمع صفير الأقلام ،وقد أمره الله سبحانه في هذا الموضع (الملأ الأعلى) بالصلاة،فكان الكلام بينه وبين الله عز وجل بطريقة مباشرة.

7_قال تعالى:

{ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)}[السجدة]

_احتج الإمام أحمد بهذه الآية على أن الله يتكلم ينتقل المصنف بعد ذلك إلى جزئية هامة جدًا ألا وهي:

(الإيمان بالقضاء والقدر)

يقول المصنف:

(وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره،حلوه ومره،قليله وكثيرة بقضاء الله وقدره،لا يكون شيء إلا بإرادته،ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته،خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلًا ،وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلًا،فهو سر استأثر به وعلم حجبه عن خلقه)

قال تعالى:{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)}[الأنبياء]

_وقال الله عز وجل:

{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)}[الأعراف]

وقال سبحانه:

{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(13)}[السجدة]

_يقول تبارك وتعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) }[القمر]

وهنا لنا وقفة:

فلو أن شخص قرأ هذا المتن أو عُرِضت عليه المسألة بهذه الطريقة قد يتسرب الخلل إلى عقله أو يكون في النفس منها شيء.

_ولذلك فإن مسألة القدر لابد أن تُعرض بشكل يُبيِّن ما أراد الله سبحانه وتعالى في كتابه وما أراده النبي ﷺوما هي حقيقة القدر ؟ أما العرض كما قلنا بهذه الطريقة فإن السامع للآيات بالإضافة لهذا المتن يعتقد أن الأمر قد انتهى لأن الله خلق أهل الجنة وخلق أهل النار والعباد هم عبارة عن آلات متحركة لا قيمة لهم ولا وزن ،وهذا ضلال قد وقعت فيه طائفة لا يُستهان بها من الناس (ادعوا لي بالهداية _سأفعل وأفعل ولكن لما ربنا يريد)معنى الكلام أن قائله يعتقد أنه مُجبر على أفعاله.

أولًا: ورد ذِكر مسألة القضاء والقدر في الكتاب والسنة وأجمع علماء أهل السنة والجماعة على الإيمان بالقدر .

لكن كيف نؤمن بالقدر؟

وما هي حقيقة القدر؟

هذا هو ما نحتاج إلى أن نقف معه وقفة حتى تستريح النفوس ولا يبقى مجال لأي شُبهة.

قال تعالى: { مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا(38)}[الأحزاب]

وقال جلَّ ذكره : { وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)} [الأنفال]

وقال سبحانه :{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(49)}[القمر]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" أخرجه مسلم (2653)

الله سبحانه وتعالى قدر مقادير كل ما نحن فيه قبل خمسين ألف سنة من خلق السماوات والأرض (أي الأقدار الكونية بما تضمنته من طاعات

_معاصي_جدب_قحط_مرض_سلامة_سعادة_فرح_حروب

_خير_شر) كل شيء قد قدره الله إلى أن قيام الساعة.

_هذا الأمر يمنح نوع من السكينة والطمأنينة إذا ما أُدْرِكَ على الوجه الصحيح ،أما العكس فإنه يستتبع الضلال ولابد.

_فعندما ذكر الحق تبارك وتعالى القدر في آيات الكتاب وذكرها النبي ﷺفي السنة المطهرة لم يكن المقصود هو أن يفهم البشر أنهم مُسيرون،لأننا لسنا مُسيرين في أقدار الشرع كما أننا غير مجبرين على فعل شيء إلا في أمور معينة تخص الأقدار الكونية التي ليس للإنسان يد في سريانها.

_حال العبد ما بين أمرين:

أَحَدُهُمْ أَوَى إِلَى اللهَّ فَآوَاهُ اللهُّ والْآخَرُ أَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُّ عَنْهُ

عَنْ عَلِيٍّ،قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:«مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: «لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل: 6]، إِلَى قَوْلِهِ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}[الليل: 10]

أخرجه مسلم(2647)

_إذن فإن التيسير إلى أمور الخير والتي تنفع الإنسان فيما يخُص دينه

ودنياه هذا التيسير يأتي من عند الله عز وجل ولكن للإنسان علاقة قد تكون سبب في إتيان هذا التيسير من عند الله سبحانه ، فقد قال عزَّ وجل{ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى}

وهذا يعني:أن عطاء العبد وتقواه قد سبقت تيسير الله له إلى الخير، والعكس { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9)} :وأما بخل الإنسان وعدم إنفاقه وكذا استغنائه عن ثواب الله وعدم امتثاله لأوامره فتكون النتيجة { فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)} .

_الآيات واضحة جلية في بيان أن الإنسان هو الذي يختار إما السير على طريق الحق وبالتالي يُيَسِر الله له ذلك وإما السير على طريق الشر فيُخَلِي الله بينه وبين ما يُريد (إذًا الشر مُيسر لأصحابه) لأن الله يعلم أن قلب العاصي لن يُذعن ولن يستجيب للحق فمهد له الطريق ليصل إلى مُبتغاه ويسقط فيما حرَّم الله ،وحتى يكتمل الإضلال فإن اللاهي الغافل الفاجر يظن أن مرور الأمر بهذا التيسير يعني أنه لم يفعل شيء وأنه سيأتي يوم ويتوب فيغفر الله له (هذا جهل مبين) لأن هذا التيسير للعسرى سبقه إنذار وإعذار من الله للعبد ولكنه لم يستجب فقد جاءته الآيات والأحكام ولكنه سعى إلى ما يريد فجاء التيسير للعسرى.

_فَرَبُنَا ربٌ كريم حرَّم على نفسه الظُلم فقال :{ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(15)}[الإسراء]

فمن المُحال أن يُعذِب الله عز وجل الإنسان أو يُسلِط عليه المعاصي أو أن يحيد الإنسان عن الطريق إلا بعد إعذاره وإنذاره مِرارًا وتكرارًا فيأتيه الحق ولابد فإن اتبعه فسيكون التيسير لليُسرى ، وإن لم يتبعه فسيكون التيسير للعسرى والأمثلة التي نراها حولنا كثيرة جدًا ، فنجد أن أمور أصحاب الذنوب والمعاصي مُيسرة جدًا لدرجة أنهم ربما يمثلون فتنة لبعض الناس ومنهم الملتزمين (في حين أن ما فيه هؤلاء هو تيسير للعسرى ولكن هذا لا يفقهه إلا أصحاب العقول المدركة لحقيقة الأمور)ولكن المفاهيم الخطأ تأتي نتيجة البُعد عن الكتاب والسنة ومجالس العلم ولهذا فقد حدث الشك في أمر الله عند بعض الناس.

مثال:ينظر البعض إلى العُصَاة وما يقعون فيه من المعاصي ثم بعد ذلك يذهبون لأداء العمرة أو الحج فيعتقد هذا الناظر أن حجة هذا العاصي مقبولة والقضية أن الناس تعتقد أن العاصي بمجرد أن يحج يكون قد غُفِرَ له،مَن قال أن حجته مقبولة؟،هذه المغفرة التي وعد الله بها عبده الحاج أليس لها شروط وردت في السنة النبوية ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»

أخرجه البخاري(1820،1521،1819)،أخرجه مسلم(1350)

الرفث :الجماع والتعريض به وذكر ما يفحش من القول.

يفسق :يرتكب محرمًا من المحرمات ويخرج عن طاعة الله عز وجل.

_فهل يُعتقد أن هذا العاصي الذي يقوم وينام وهو يرتكب المعاصي (كالممثلين _والمغنيين _والراقصات) يمكن أن يذهب إلى هذا المكان ولا يقع في المعاصي ؟

من المُحال أن لا يقع في المعاصي وبالتالي كيف يمكن أن يكون حجه مبرور ؟ وهكذا..

أولًا : الحج لا يُقبل إلا إذا كان من المال الحلال

ثانيًا :مَن أدراك أنه مكث هذه المدة من غير أن يفسق أو أن يعصي الله

ثالثًا :وعند الرجوع من الحج هل سيتوقف عن عمله الذي كان يقوم به

الإشكال :أن الناس يعتقدون أن هؤلاء عادوا من الحج وقد غُفرت ذنوبهم وعادوا كيوم ولدتهم أمهاتهم.

مَن قال هذا ؟

هذا جهل وفهم خاطئ ممن يعتقده..

_إلى جانب أن العاصي نفسه مُغيَّب لأنه يظن أنه بعد عصيانه لله عز وجل وإفساده للبلاد والعباد وارتكابهللمعاصي الجارية التي تظل معه في قبره إلى

قيام الساعة إن لن يتب فينزل عليه العذاب لأن أعماله تُعرض باستمرار على الشاشات (فالأفلام_الأغاني_المسلسلات) ،يظن أنه بمجرد ذهابه إلى الحج او العمرة أنه غفر له ذنبه

_علم الله عز وجل بأقدار العباد لا يعني أنه أجبرهم عليها :

وحتى يتضح مقصد النبي ﷺ من قوله:

«مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»

نُعطي مثالًا : امرأة ظلت تعمل لمدة خمسة وثلاثين عامًا وخلال هذه المدة لم تذهب إلى عملها ولو يومًا واحدًا في الوقت المحدد لبدأ العمل،فإذا ما سألنا أبناءها بعد أن مر على عمل أمهم خمسة عشر عامًا (مثلًا)هل يمكن أن يأتي يوم وتذهب هذه الأم في موعدها؟ فجاءت الإجابة من قبل الأبناء أن هذا لن يحدث وإن ظلت في عملها هذا عشرين عامًا.

ولكن السؤال :هل لمقولة الأبناء هذه أي تأثير على فعل الأم أم أنهم يعلمون من حالها السابق أن هذا ما سيحدث؟ولله المثل الأعلى،

_الله سبحانه يعلم أهل الجنة ويعلم أهل النار فهل لهذا العلم تأثير على أعمال العباد فيكونوا مدفوعين بقدر الله إلى عمل الخير أو عمل الشر؟

إطلاقًا ،إلا أن يشاء الله شيئًا.

_هناك أمور يكون العباد مخيرين فيها ، وهناك أمور أخرى هم مجبورون عليها،دخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار ليس هباءً ولا سدًى ،لأننا بهذا نكون قد نسبنا لله عز وجل الظُلم البيِّن رغم أنه سبحانه حرَّم الظلم على نفسه

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺفِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا" أخرجه مسلم(2577)

قال تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍلِلْعَبِيدِ (46)}[فصلت]

قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا(49)}[الكهف]

يقول ابن تيمية _رحمه الله_:فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابها للمشركين ومن نظر إلى الأمر والنهي وكذب بالقضاء والقدر كان مشابها للمجوسيين ومن آمن بهذا وبهذا فإذا أحسن حمد الله تعالى وإذا أساء استغفر الله تعالى وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره فهو من المؤمنين فإن آدم – عليه السلام – لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه وإبليس أصر واحتج فلعنه الله وأقصاه فمن تاب كان

آدميا ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيا فالسعداء يتبعون أباهم والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس.

1_يقول ابن تيمية _رحمه الله_:

(فمن نظر إلي الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابهًا للمشركين)

أي : لو أن شخصًا نظر إلي الأمر والنهي ، حيث أن الله سبحانه أمر بأشياء ، ونهي عن أشياء ، ووعد أهل الجنة بالسعادة ووعد أهل النار بالشقاء والعذاب ، لو أن شخص نظر إلى هذه الأمور ثم أعرض فلم يأخذ بأسباب السعادة فيدخل الجنة،ولم يتجنب أسباب الشقاء فينجو من النار ،هذا الشخص بهذه النظرة يكون مثله مثل المُشركين لماذا ؟

لأنهم قالوا :{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)}[الأنعام]

_أي أنهم : عندما جاءهم الحق قالوا نحن مجبورون على ذلك ولو شاء الله ما كفرنا ولا أشركنا ولا عبدنا الأوثان من دونه وكذا أبائنا...هذا هو نفس المنطق الذي نسمعه الآن من البعض حيث أنهم يقولون (ادع لي أن يهديني الله) هذا لديه اعتقاد أنه مجبر على ما هو فيه.

_لقد شابه هذا الاعتقاد منطق المشركين الذين احتجوا بالقدر على معصية الله (وهذا ضلال)

_لأن القدر لا يُحتج به على معصية الله بل يُدفع القدر المحظور بالقدر المأمور(قول ابن تيمية).

_القدر المحظور: المُحرَّمات والبِدع والشُبهات والمعاصي بأنواعها .

_القدر المأمور :هو الأمر والنهي أي أوامر الشرع .

_كيف يدفع الإنسان عن نفسه هذا القدر المحظور إلا بالقدر المأمور

_يمكنك أن تكذب وهذا محظور فكُف نفسك عن الكذب وهذا هو المأمور ، يمكنك أن تُشاهد (الأفلام_والمسلسلات) كما أنه يمكنك أن تمنع نفسك وتسمع لدرس علم تتقرب به إلى الله عز وجل.

2_يقول ابن تيمية:

(ومن نظر إلي الأمر والنهي وكذب بالقضاء والقدر فقد شابه المجوس)

فما هو مقصود ابن تيمية بهذا الكلام ؟

المجوس وهم عباد النار لديهم اعتقاد أن للشر خالق كما أن للخير خالق فجعلوا للدنيا إلاهين ، وكذلك فرقة القدرية (نُفاة القدر)الذين ينفون خلق أفعال العباد أي :أن الله لم يخلق أفعال العباد ، أما الغُلاة منهم فإنهم يُنكرون علم الله عز وجل ،هؤلاء تشابهوا مع المجوس في أنهم قالوا أن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله.

_الرد :لو أن الله عز وجل لم يخلق أفعال العباد والقدرة على الصيام أو القيام والفهم ولم يخلق العقل فمن الذي خلق ؟ معنى كلامك أن هناك خالق آخر مع الله وبالتالي فأنت تُشابه في قولك هذا قول المجوس.

_هذا فريق (القدرية) والأول فريق آخر ولكن الغالب من الأقوال هو قول الفريق الأول (الجبرية) ، الفريق الثاني وإن كان أتباعه ليسوا بالكثير إلا أن هناك مَن يقول بقولهم (نفاة القدر الذين يدَّعون أن الله لم يُقدر شيء وأنه لم يكتب أهل النار ولا أهل الجنة)

_فلماذا ينفي هؤلاء قدر الله سبحانه ؟

لأنهم قاسوا الأمر بحسابات العقل (فقدموا العقل على النقل وهذا يؤدي إلى الضلال ولابد) قالوا: لو أن الله خلق كل شيء بما في ذلك أهل الجنة للجنة وأهل النار للنار إذاً الأمر منتهي فلماذا العمل هذا ظلم ؟

_أراد هؤلاء نفي الظلم عن الله فوقعوا في طامة كبرى فقد جعل خالق مع الله،لأن الله إذا لم يكن قد خلق كل شيء فإن هذا يقتضي أن غيره قد خلق بعض الأشياء،أي أنك قد خلقت صلاتك وصيامك وقيامك وحجك وأفعالك وهذا يعني أنك جعلت مع الله إله آخر ، لهذا قال ابن تيمية أنهم يشبهون المجوس .

عقيدة أهل السنة والجماعة وهو الفريق الثالث صاحب القول الحق..

_يقول ابن تيمية : ومن آمن بهذا وهذا ،فإذا أحسن حمد الله تعالى ،وإذا أساء استغفر الله تعالى ،وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره ،فهو من المؤمنين

_فعند الإحسان نحمد الله ، وعند الإساءة نستغفر وننزع ،ولذلك فإن آدم عليه السلام عندما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه :

{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَاوَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(23)}[الأعراف]

_تاب آدم وحواء فتاب الله عليهما وهداهما،أما إبليس فقد احتج وأصر واستكبر فلعنه الله وأخرجه وأبعده.

_انتهت القضية بالنسبة لآدم بالاستغفار،أما ما نراه حولنا من أحوال الكثير من الناس فهو الإصرار على المعصية والحجة ادعاء أنهم مجبرين عليها (يحتجون بالقدر)، مَن يتعامل بالربا يقول وماذا أفعل ليس عندي مورد آخر للرزق والله قدر لي ذلك،مَن يعمل في مقهى إذا قيل له أن ما يفعله حرام ولا يجوز فإنه يقول أنا لا أجيد أي عمل آخر وربنا أراد لي هذا ، مَن يقومون بزراعة المخدرات وغيرها من الأشياء المُحرمة شرعًا المُضيعة للعقول والأجيال ماذا يقولون تبريرًا لما يفعلوه من التسبب في ضياع شباب المسلمين؟

نحن لا نعرف إلا هذه الزراعة وهو عملنا الذي نكسب منه رزقنا ..

_كل هؤلاء يحتجون بالقدر وأنهم وجدوا أبائهم على هذا النهج فساروا خلفهم ، تجاوزًا لو أن أباك قُدِر عليه هذا العمل فلماذا اتبعته أنت فيما أخطأ فيه أليس لك عقل وإرادة ومشيئة ، وكان عليك أن تأخذ بالأسباب ولا تقول لقد وجدت أبي يفعل فاتبعته على ذلك أو أنه لم يتعلم أمور الدين وأنا كذلك،أو أن هذا هو العمل السائد في هذا المكان ، كل هذه الكلمات لا تُمثل إعذار يُنجي من عقاب الله و لا تُقبل عند الله

يقول شيخ الإسلام :_

ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات بل لا بد من ريح مربية بـــــإذن اللـــــــــه ولا بد من صرف الانتفاء عنه؛ فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع وكل ذلك بقضاء الله وقدره"

_هذا يعني أن ترك الأسباب بالكلية يُعد قدحًا في الشرع :

يعني طعنًا فيه،لماذا؟

لأن كل شيء جعل الله له سبب بها في ذلك أمور الدنيا..

الإنسان إذا لم يأكل ويشرب ويأخذ بأسباب الحياة هل سيستمر على قيد الحياة؟

وقياسًا على ذلك كل شيء في الدنيا،فمن أراد النجاح فعليه بالمذاكرة ، من أراد الولد فعليه أن يتزوج،هذا بالنسبة لأمور الدنيا وكذلك بالنسبة لأمور الآخرة ،فمن لم يصل ويصم ويحج ولم يُنفِذ أوامر الله ويحتج بالقدر هذا سيكون مصيره إلى النار.

_وفي نفس الوقت فإن الاعتماد على الأسباب شرك:

يعني:من ينظر للسبب على أنه الأساس والأصل الذي يعتمد عليه فهذا نوع من الشرك ،لأنه يعتقد أن السبب بذاته ينفع ويضُر

_فلماذا يُعد هذا شركًا؟

لأنهٔ يظن بذلك أن أحدًا ينفعه أو يضره غير الله،في حين أن الذي ينفع ويضر هو الله

قال تعالى:

{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)}[الأنعام]

قال تعالى:{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107)}

[يونس]

مثال:

شخص يستعد لدخول رمضان و الصلاة والقيام ولكن كل ما يشغله هو أنه لابد أن ينام سبع ساعات حتى يقوم ويستطيع الصلاة فهو بدون ذلك يُصاب بالصداع ،هذا الإنسان اعتمد على النوم واعتقد أن النوم هو السبب في عدم الصداع (هذا الكلام لابد من تمرين القلوب عليه حتى تعلو الهمم) إذا أراد الله لك أن تستيقظ وأنت مُعافى ستعافى وإذا أراد أن تُصاب بالصداع فستضيع الأوقات في النوم ومع ذلك يُصاب بما قدره الله له،النوم سبب والطعام سبب وكل شيء في الدنيا سبب ولكن رب السبب هو الذي يجعل الأسباب تعمل وبأمره يجعلها تتوقف عن العمل،لهذا فإنه لا ينبغي التعلُق بالأشياء لأن التعلُق بالأشياء يؤدي إلى فساد القلب (زوج_زوجة_ابن_مال _وظيفة _شكلي) كل هذه شركيات تملأ القلوب ،وليس معنى الشرك هنا هو الكفر والخروج من الملة ولكنه شرك خفي لا يراه صاحبه وهذا هو الفرق بين الرعيل الأول (السابقين الأولين)والمسلمين الآن،فقد كانت القلوب صافية نقية لا تعرف هذه الشركيات ولا هذه المعاني ،وكانت أعمال القلوب على أعلى مستوى (اليقين_التوكل_الإنابة _المحبة_ الإخبات_الرضا) ،لكن قلوب بعض المسلمين الآن تملأها الشركيات باعتمادهم على الأسباب (فالظاهر جميل أما الباطن فلا يعلمه إلا الله)

_علينا أن نأخذ بالأسباب دون أن الاعتماد عليها :

_فكلما تركنا الاعتماد على الأسباب كلما ازداد القلب نقاءً وطُهرًا وصفاءً بخلوه من الشركيات (هذا يعني العلو والارتقاء في الإيمان)

_أتناول الدواء أخذًا بالأسباب ولا أعتقد أنه هو المُسبب للشفاء لأن الشفاء لا يأتي إلا بإذن الله عز وجل فربما يظل الإنسان يأخذ الدواء سنين ولا يُشفى،هذا يحدث مع أُناس كثيرين والسبب أن الله لم يأذن بالشفاء.

ثم يضرب ابن تيمية مثال :

_ فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات بل لا بد من ريح مربية بـــــإذن اللـــــــــه ولا بد من صرف الانتفاء عنه؛ إذا كانت الأرض موجودة ومهيأة للزراعة وجاء الفلاح وبذر البذر ونزل المطر (هذه هي أسباب الإنبات) ورغم كل ذلك نسمع من كثير من الفلاحين عن توافر كل هذه الأسباب إلا أن الأرض لم تُنتج شيء،لماذا ؟حتى يُبيِّن الحق تبارك وتعالى للبشر أن الاعتماد على السبب لا يؤدي إلى نتيجة فهي مجرد أسباب (فالمطر سبب_البذور سبب) لكن رب الأسباب آمر الأسباب أمر الأرض أن لا تُثمِر هذا العام فلن تُثمر،فنأخذ بالأسباب ولا تتحقق النتائج فالأمر بيد الله عز وجل،هنا يُعلمنا ربنا أن تكون لنا مشيئة (عقيدة صحيحة) ولله عز وجل مشيئة.

_قال تعالى:

{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30)}[الإنسان]

_فمشيئة الإنسان مُعلقة بمشيئة الله سبحانه ومُحاطة بها،ومن المُحال أن يصل الشخص لشيء يريد تحقيقه إلا إذا شاء الله ذلك.

_ثم تأتي خاتمة الآية: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}

لأن الإنسان قد يشاء شيئًا ويرغب فيه ولكنه ليس فيه خير فيأخذ بالأسباب ولا يُيسر له،ليس شرطًا إذا ما أخذنا بالأسباب أن تتحقق النتائج.

_إذًا لو أراد الإنسان شيئًا وأخذ فيه بالأسباب ولم يتحقق فليعلم أن الله عليمًا حكيمًا،فالحكمة والعلم اللذان يحكم بهما الله ولا يراهما العبد يقتضيان المنع،فمن كان سائرًا على الطريق ولكنه مُنع فليعلم أن في هذا الخير لأنه سيعطي الأفضل والأعلى فلا يجزع ولا يسخط ولا يضجر فالخير فيما قدره الله سواء بالمنع أو بالعطاء ،وحتمًا سيأتي الخير من أبواب أخرى ولذلك فقد قال رسول الله ﷺ.

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ "

أخرجه البخاري (5673)

أراد النبي ﷺأن يقول أن هذا الأعمال مهما عظُمت إلا أنها ليست ثمنًا لدخول الجنة ولكنها مجرد سبب ،فأعمال العباد يعتريها(النقص_التفريط _التقصير) ولهذا فإنهم يعتمدون على عفو الله ورحمته وفضله لا على أعمالهم

_يقول ابن تيمية:

للعبد في المقدور حالان :_

- حال قبل القدر
- حال بعد القدر

1_حاله قبل المقدور :

عليه قبل المقدور أن يستعين بالله وأن يتوكل عليه ويدعوه،إذًا فإن حال العبد قبل المقدور يكون ما بين الاستعانة والتوكُل

_فما هو الفرق بين التوكل والاستعانة ؟

التوكل أوسع وأشمل من الاستعانة ،فالاستعانة تكون بالنسبة للأعمال الظاهرة أما التوكل فإن محله القلب وهو يعني (صدق اعتماد القلب على الله) أما الاستعانة فتعني (أن يستعين الشخص بالله للقيام بعمل ما)

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)}[الفاتحة].

_التوكل والاستعانة يكونان قبل العمل...

2_حاله بعد المقدور :

فإذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به ،وإن كان بفعله وهو نعمة حمد الله على ذلك ،وإن كان ذنبًا استغفر إليه من ذلك .

قبل العمل أخذ بالأسباب وتوكل واستعان ودعا الله سبحانه ثم بعد ذلك جاء القدر على عكس ما أراد فيكون أحد أمرين :

_إما بفعله،أو بغير فعله،إن الجميع يسعى لإصلاح أمر دنياهم وآخرتهم، ولنأخذ أهل الدين مثالًا لهذا الأمر.

_إنسان فاضل يريد أن تكون حياته كلها خير،لا إشكال في ذلك فقد كان من دعاء النبي ﷺ.

*عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:

«اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي،وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»أخرجه مسلم(2720)

إلى جانب أنه يريد صلاح أمر آخرته،فهل يعلم ما سيأتي في الأيام القادمة؟أكيد لا....إذًا قبل المقدور يستعين بالله ويتوكل عليه كي يُوفقه في أعمال الدنيا فيكون صلاح أمر الدنيا ويستعين بالله أيضًا لإصلاح أمر دينه،كل هذا يُعد من قبيل الأخذ بالأسباب (التوكل_الاستعانة)

_فإذا ما وقع القدر فيكون:

1_إما بغير فعل العبد :

مثال:

شخص كان ينوي أن يصوم شعبان بأكمله إلا قليلًا اقتضاءً بالنبي ﷺ ثم يُتبعه بصيام رمضان ويلي ذلك صيام ستًا من شوال ولكنه مرض فلم يتحقق له ما نواه،فهل ما حدث له بأمره أم أنه خارج عن إرادته؟

هذا خارج عن إرادته فيُقابل ذلك بالصبر والاحتساب والرضا بقضاء الله عز وجل لأنه وقع على غير إرادته وبغير تدخُل منه فيه لكنه قضاء الحكيم العليم اللطيف.

2_إما إذا كان بفعل العبد :

فيكون إما أنه أتى بطاعة وإما أنه أتى بمعصية،قال تعالى:

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)

}[الشورى]

أ_فبِكسب العبد يُصاب بالمصيبة:فإذا ما وقع العبد في المصيبة فعليه أن ينزع ويتوب ويعود ويستغفر كما فعل أبيه آدم حتى يغفر له ربه ويتوب عليه.

ب_أما إذا كانت طاعة : الإقدام على الطاعة وإتمامها ثم يعقب ذلك دعاء الله أن يتقبل ويتجاوز عن سيئاته وتقصيره في العمل.

_(هذا هو حال المؤمن التقي النقي الفطن الذي أدرك بعقله المقصود من أوامر الله وهدي رسوله ﷺ ،وكذا المقصود بقضاء الله وقدره) وهكذا يكون التعامل مع الأقدار.

"إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"

يُبيِّن الله عز وجل لعباده الحرام والحلال ثم يكون الاختيار من العبد وبمشيئة العبد فتكون معصيته من كسب يده وتكون طاعته نتيجة سعيه فلا يجبره الله على الطاعة كما أنه لا يجبره على المعصية بل أنه هو الذي يختار ويسعى ويشاء ويكتسب المعصية أو الطاعة،ومع هذا كله فإن مشيئة الله عز وجل تُحيط بمشيئة العبد.

_وهنا ينقسم العباد إلى فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير،وهذا يعلمه الله سبحانه بسابق علمه في عباده وليس ظُلمًا منه لهم؛قال تعالى

{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)}[النساء]

_لا يحتاج الله عز وجل إلى ظلم العباد ، لأن الظلم أمر لا يأتي إلا ممن يتصف بصفات نقص لكن الله هو الغني الحميد.

يقول شيخ الإسلام :

_ وله في المأمور حالان : حال قبل الفعل وهو العزم على الامتثال

،والاستعانة بالله على ذلك ،و حال بعد الفعل :الاستغفار من التقصير

وشكر الله على ما أنعم به من الخير، قال تعالى{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (55)}

[غافر]

فأمره أن يصبر على المصائب المقدرة ويستغفر من الذنب وإن كان استغفار كل عبد بحسبه،فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين

1_حال قبل الفعل وهو العزم على الامتثال ،والاستعانة بالله على ذلك

فيكون قبل القيام بالعمل أيًا كان الامتثال لأوامر الله سبحانه (فإذا ما ثبت عندي الدليل على أن هذا الأمر من عند الله فلا يبقى إلا الامتثال والإقبال على أمر الله) وهل هذا الامتثال يتسنى للعبد القيام به بمفرده أم أنه يحتاج إلى الاستعانة بالله فيه؟بالطبع يحتاج إلى الاستعانة بالله للقيام بأوامره...

2_حال بعد الفعل:الاستغفار من التقصير وشكر الله على ما أنعم به من الخير..وقد شرع لنا رسول الله ﷺوهو لا ينطق عن الهوى الاستغفار بعد الصلاة مباشرةً (الاستغفار ثلاثًا للتقصير وعدم حضور القلب كما يجب وعدم الخشوع كما ينبغي لجلال وكمال الله) ،كما أنه يشكر الله على توفيقه له وإعانته على الطاعة

قال تعالى:

{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (55)}[غافر]

_فالصبر على أداء الطاعة،والصبر عن المعصية لأن وعد الله حق ثم يأتي الاستغفار..

فبيَّن ثلاثة أمور: الأمر بالصبر ، وأن وعده حق ،ثم أمره بالاستغفار

_الطائع العابد الزاهد الممتثل لأوامر الله والمنتهي عن كل ما يُغضبه فعلاما يستغفر؟

يستغفر عن التقصير بعد الطاعة ..

أما في المعصية فقد أمره بالصبر على المصائب المقدرة ويستغفر منالذنب،وإن كان استغفار كل عبد بحسبه ،فكلٌ بحسب درجته وبحسب هدفه وما هو أمله ورجائه في الآخرة.

قال تعالى:

{ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186) }[آل عمران]

ذَكَرَ الصبر على المصائب وكذا الصبر على الطاعة ، فعند المصائب يكون الاستغفار والتوبة وعند المعائب لا نحتج بالقدر ولكن يُحتج به عند المصائب فما هو الفرق ؟؟

نزلت المصيبة مثلما حدث لآدم عليه السلام عندما عصى ربه وبعد ذلك تاب ثم دار الحوارين آدم وموسى عليهما السلام فتحاجا فنهى آدم موسى عن الجدال لأن الموضوع قد انتهى وقضي الأمر، فإذا ما وقع الإنسان في المعصية فعليه أن ينزع ويستغفر ويتوب ولا يحتج بالقدر فيستمر على ما هو عليه ويقول هذا هو تقدير الله لي ، نعم هذا هو تقدير الله ولكن يعلم في سابق علمه أن وقوع العبد في الذنب بشيء يستحقه :[مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُعَمَلَ الشَّيْطَانِ»

أخرجه مسلم(2664)

_المقصود من الحديث:

أن الإنسان إذا ما مر عليه أمر ما فلا يجب أن يظل مُعلِقًا قلبه أو عقله به فيقول :لو أني فعلت كان كذا وكذا لأن ذلك يفتح عمل الشيطان،ولو أنه ظلَّ يُفكر فيما مضى فهل هذا سيؤدي إلى استرجاع ما مضى؟

لن يكون هذا،ولكن على العبد أن ينشغل بالقادم لا بالماضي...

قال تعالى:{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَاإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)}[الحديد]

فكل ما على الأرض من مصائب مكتوب في كتاب من خمسين ألف سنة قبل أن يخلق السماوات والأرض.

_نبرأها:نخلقها،بيَّن الحق تبارك وتعالى هذا حتى لا يحزن العباد على ما فاتهم ولا يفرحون بما هو آتي لأنه لا أحد يعلم أين الخير.

_قال تعالى:{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِوَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11) }[التغابن]

كل مصيبة في الدنيا أو في الدين تكون بقدر الله سبحانه وتعالى ،ومن يؤمن بالله يهدي قلبه (أي أنه يؤمن بأقدار الله) كما قال أهل العلم لأنها جاءت في سياق الكلام عن القدر المكتوب.

_مسألة الإيمان بالقدر لابد فيها من الاعتدال فلا يكون إفراط ولا تفريط،أقر واعترف أن الله قدر كل شيء (خير_شر_طاعة_معصية) ومع هذا فلكل عبدٍ مشيئة وإرادة وبيده أن يأخذ بالأسباب..

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك...